تنظيم الوقت وحياتنا الأسرية

سؤال: كان رسول الله ﷺ رجلَ دعوةٍ ودولة، وفي الوقت ذاته أبًا وزوجًا وأقربَ صاحبٍ لأصحابه، ومع ذلك كان ينظّم وقته ولا يخلّ بأيّ حقٍّ لهؤلاء، وعلى ذلك فما الذي يجب على ذوي الغايات السامية أن يراعوه عند تنظيم أوقاتهم حتى يقيموا توازنًا بين الحقوق التي عليهم؟

الجواب: تنظيم الوقت يعني النظرَ بعين الاعتبار إلى جميع الأمور التي ينبغي القيام بها، وتحديدَ أولويّاتها، وتخطيطَ الحياة وفقًا لذلك، ويدخل ضمن هذا التخطيط أيضًا؛ حياتُنا التعبّدية مثل الصلاة والذكر والدعاء، فضلًا عن المسؤوليّات التي يجب علينا القيام بها تجاه مَن نحن متكفّلون برعايتهم كالأسرة والأولاد وغير ذلك.

فمثلًا المؤمن لا يترك قيام الليل بحجّة الخدمة، بل يجب عليه ألا يفعل ذلك. أجل، يجب على القلب المؤمن أن يأخذ نصيبه من قيام الليل، ولو بصلاة ركعتين، فالواقع أن الإنسان الذي يستيقظ ليلًا ويخصص ما بين عَشر إلى خمس عشرة دقيقة من وقته لصلاة التهجد والدعاء لا يخسر شيئًا ألبتّة من حياة الخدمة، بل على العكس يفوز بأشياء كثيرة؛ لأن مَن يُحسن استغلال ليله يسلُك طريقَ الانبعاث، والتهجد ليلًا أمرٌ يُباهي الله به

ساكني الملإ الأعلى، والدعاء في هـذه الأوقات من الليل لا يُقارن بغيره من الأدعية، وكذلك فإن وضع الجباه على الأرض، والوصال مع سجادة الصلاة، والخضوع والتذلّل لله تبارك وتعالى، وسكب العبرات وسط هذا الصمت الرهيب الذي يمتاز به الليل البهيم لهو أمرٌ عظيم لا يمكن مقارنته بالعبادات التي تُؤدَّى في الأوقات الأخرى، من أجل ذلك علينا ألا نتغافل عن قيام الليل عند تنظيم يومنا.

"أعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقّه"

وكما يجب على الإنسان ألا يُعرِض عن العبادات التي تغذّي حياته القلبية والروحيّة فعليه أيضًا أن ينظر بعين الاعتبار إلى الحقوق العامة في حياته الاجتماعية، ويضع لها ترتيبًا على قدر أعبائها، ولا يعزب عن عِلمكم ما قاله النبي ﷺ للصحابة الذين أهملوا ذويهم ليتفرّغوا لعبادة ربّهم: "**إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلّ ذي حقٍ حقّه**"(٩٣).

وكما رأينا يشير الحديث إلى أنه من الضروريّ ألا يتسبب الانشغال حتى بالعبادة إلى إهمال الإنسان للحقوق التي عليه مثل حقّ نفسه، وحقّ زوجته، وحقّ أبنائه... إلخ.

وكما تعطي مسألة تخصيص خمسة أوقات للصلاة دروسًا مهمّةً للمؤمنين في تنظيم الوقت؛ كذلك فإن الآيات الكريمة التي تتحدّث عن حكمة خلق الليل والنهار تمدّهم ببعض المعطيات في هذا الشأن، فمثلًا يقول ربّنا تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (سورة القَصَص: ٢٨/٧٣).

---

(٩٣) صحيح البخاري، الأدب، ٨٦.

فهذه الآية الكريمة وما شابهها ترشد المؤمنين إلى موضوع تنظيم الوقت، وتقول لهم: إن نظّمتم أوقاتكم، وأدّيتم نهارًا ما عليكم أن تقوموا به نهارًا، وأدّيتم ليلًا ما عليكم أن تقوموا به ليلًا، فُزْتم من الليل ببعدٍ آخر، ومن النهار بأفقٍ مختلف، وتخلّصتمْ من التشوّش والاضطراب في حياتكم، وما تعثّرتم بالعقبات الناشئة عن الفوضى والعشوائيّة، ونَعِمْتُم بحياةٍ أكثر بركةً ونماءً.

تخطيط الأربع والعشرين ساعة

فإن كنتم تنشدون من وراء تنظيم أوقاتكم أن تكون أوقاتكم أكثر بركةً وتنظيمًا فعليكم أن تضعوا جدولًا لكل ساعات اليوم الأربع والعشرين، فإن فعلتم ذلك استطعتم أن تحدّدوا بشكلٍ واضحٍ أيَّ الأعمال التي ينبغي لكم القيام بها في أيّ ساعات اليوم؛ بدءًا من الالتقاء بالأصدقاء حول الحديث عن ذكر الحبيب إلى قراءة الكتاب، ومن ترتيب الغرفة إلى الانشغال بالذكر والأوراد، ومن التشاور مع الأهل في بعض المسائل إلى وقت الاستراحة، بل قد تدخل ضمنَ هذا التنظيم الفترة التي قد تخصّصونها للجلوس وشرب الشاي وتناول الطعام، فمثلًا إن كانت عشرون دقيقة تكفي لتناول الطعام فلا بدّ من الاكتفاء بها، وألا نضيّع أوقاتنا في الكلام الفارغ بعد الطعام، بل ينبغي أن نقتطع أوقاتًا احتياطيّة من الأربع وعشرين ساعة حتى لا تخلّ الأشغال التي قد تطرأ بعد ذلك ببرنامجنا.

فإن نظّمنا أعمالنا بكلّ فروعها وأصولها على هذا النحو المفصّل ازداد الوقت بركةً، وحصد الإنسان ثمرة أعماله أضعافًا؛ لأن الحياة إن نُظّمت صار الإنسان منظّمًا في وقته، وتعوّد على العمل في إطار برنامجٍ معين، وبهذا الحافز المعنويّ يستطيع القيام بأعماله في يسرٍ وسهولة.

ولا يُفهم من كلامي أن مثل هذا النمط الحياتي يعني آليّةَ الإنسان، بل يعني أن يكون الإنسان منظّمًا وأن تجري حياته في نظامٍ وانضباط، والإنسان المنظّم لا يعيش خواء في عباداته وطاعاته، ولا يُهمل أذكاره وأوراده، ولا يُقصِّر في المهام التي تقع على عاتقه، ولا يُخلّ بحقوق أفراد أسرته.

إقناع من يسيرون معنا في نفس الطريق

وهنا مسألةٌ مهمّةٌ لا بدّ من الالتفات إليها عند تنظيم الوقت: يجب على الإنسان أن يفاتح الذين يشاركونه حياته في مسألة تنظيم الوقت التي يعتزم تطبيقها، وأن يستفيد من آرائهم وأفكارهم، وبعد ذلك يحدّثهم عن أهمّيّة الوظائف التي عليه أن يقوم بها، وأن يقنعهم عقلًا وقلبًا بها؛ بمعنى أن على الإنسان أن يحاول إقناعهم قدر المستطاع بما علينا من حقوقٍ لله والدّين والقرآن؛ إلى جانب حقوق الزوجة والأولاد والوالدين، ولا بدّ أن يعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه، فإن توصل مع مَنْ يشاركونه نفس البيت إلى اتّفاقٍ في هذه المسألة استطاع القيام بعمله براحةٍ أكبر وسهولة أرحب، دون أن تعترضه أيّ كلمةٍ أو تصرُّفٍ سلبيٍّ ممّن حوله.

تصوّروا إنسانًا أقنع نفسه بضرورة استغلال معظم وقته في سبيل إعلاء كلمة الله، وآمن بهذا يقينًا، فهذا الإنسان تشرّبَ هذه الوظيفة وجعلها جزءًا من طبيعته؛ حتى إنه يقوم بها باذلًا في سبيلها شتى التضحيات دون تردّد، لكن إن لم يعلم من يشاركونه حياته عِظَمَ حقِّ الله تعالى وأهميّةَ رفع راية دينه في كلّ أنحاء العالم وأن هذا الدين أمانةٌ وعليه أن يكون في شدٍّ معنوي دائمٍ إزاء هذه الأمانة، وإن جهل الآخرون أيضًا الأهمية الحياتية من ترميم تلك القلعة التي تنخر فيها عوامل الضعف منذ عصورٍ

فلن يرغبوا في السير معه في الطريق نفسه، ولذلك على الإنسان أن يبذل جهدًا أكبر حتى يسلك معه الآخرون الطريق نفسه، وهذا يجعل الإنسان يُصاب بالنصب والتعب بعد مدّة.

بيد أنه إن قدَر على أن يُقنع مَن يشاركونه حياته بالعقيدة والغاية المثلى التي يتبنّاها، ويتنسّم معهم الفكرة والشعور نفسه، ويبثّ في قلوبهم شعور رعاية الخدمات التي يقوم بها؛ فلا شكّ أن هذا الأمر سيساعده بشكلٍ جدّيٍ في تيسير أمره وتنظيم أموره، بل إنه لو قصّر يومًا في أداء مهامه التي عليه أن يقوم بها كأن لم يحضر إلى اجتماعٍ كان عليه أن يحضره أو أنه لم يشارك في برنامجٍ للقراءة كان عليه المشاركة فيه؛ فإنّ أوّلَ ردِّ فعلٍ سيلقاه؛ سيصدُرُ من هؤلاء الذين يشاركونه الحياة، وسيكون هذا عنصرًا محفّزًا بالنسبة له.

فإن حدث خلاف ذلك -بأن لم تكن لدى زوجته أو أولاده أو مَن يعيشون معه درايةٌ بتنظيم الوقت الذي يخطّط له- فلا مفرّ من وقوع بعض الاختلافات في الفكر والشعور بعد فترة، وسيتسبّب هذا في انقطاع العناية الإلهية؛ لأن توفيق الله ينشأ عن الوفاق والاتّفاق، فلو كنتم تريدون أن تحظوا بتوفيق الله وعنايته فعليكم أن تحرصوا على الوفاق والاتفاق فيما بينكم أوّلًا، أيًّا كانت الدائرة التي تعملون في إطارها.

التبرّع بالوقت

الموضوع الآخر الواجب الوقوف عليه هنا هو: مدّة الوقت المخصّص لما سننجزه من أعمال في سبيل غاية سامية؛ إذ إن العمل الذي يَضطلع به -لأجل تحقيق مثالية معيّنة- إنسانٌ يخصّص حوالي سبع أو ثماني ساعاتٍ فحسب من يومه بمنطق الموظّف أو العامل سيكون محدودًا

بسبب ضيق ذلك المنطق، فإن تولّى الإنسان مسؤولية بضعة أعمال في سبيل غاية سامية، وكان الوقت اللازم لإنجازها يتراوح ما بين ثلاث عشرة إلى خمس عشرة ساعة؛ انبغى له أن يسعى للوفاء بهذا عبر تنظيمِهِ وقتَه تنظيمًا جيّدًا؛ أي إنه يجب عليه أن يُنفق وقتَه في سبيل الله تعالى بقدر ما يستطيع دون أن يُضيّع ولو ثانيةً واحدة هباءً من جانبٍ، ويجتهد من جانبٍ آخر للاستفادة من وقته هذا على نحوٍ أفضل من خلال تنظيمه أعماله وترتيبِه إيّاها أيضًا.

ولا سيما إن كان الأمر المطروح في يومنا هذا هو إعمارُ قلعة معنوية تضرّرت عبرَ عصور طويلة؛ فإنّ مَن نذوروا أنفسَهم لخدمة القرآن والإيمان مطالَبون بتقديم تضحيات أكثر ممّا كان حتى الآن، وأن يتحرّكوا بحذرٍ وحساسيّةٍ أكثر في هذا الشأن، ولتحقيقِ ذلك فهم يستطيعون "التبرّعَ بالوقت" فيما بينهم، فمثلًا يعلن أحدهم أنه سيخصّص وسيتبرع باثنتي عشرة ساعة من يومه في خدمة أمته، بينما آخر يتنكّب مسؤوليّة عملٍ مدّته ثلاث عشرة ساعة، وثالثٌ يعِد بأن يعمل في سبيل الله تعالى أربع عشرة ساعة، والحاصل أن الجميع يسعى ويجتهد للاستفادة من الوقت وتنظيمه في إطار الخدمة بالتبرع من وقته بعددٍ معيّنٍ من الساعات، وهذا هو مفهوم العمل الذي يقع على عاتق المسلم الحقّ، فإن كان مفهوم العمل لا يعني هذا في يومنا؛ فهذا يعني جهلًا بهذا الجانب من الإسلام.

وإن كان البعض لا يتبرّع -رغم ما لديه من إمكانيات- بالوقت بالقدر المأمول منه؛ فهذا يعني وجود حاجةٍ إلى إقناع العقول في هذا الشأن؛ إذ من المهمّ جدًّا تحقيق التطابق والتوافق مع المخاطبين في هذا الموضوع، بيد أنه يلزم بعد تحقق مثل هذا النوع المرجوّ من التوافق ألا تُنتهك حقوق

أيّ إنسان على الإطلاق، وعلى كل فرد أن يتصرّف بحساسيّةٍ شديدةٍ في الوفاء بما يقع على كاهله من مسؤوليات؛ فلا يتعدّى الأزواج على حقوق بعضهم، ولا يلحقنَّ الضرر بحقوق الأُسرِ، ولا يقعنَّ أي نوعٍ من الظلم بين الرئيس والمرؤوس، ولا تنتهكنَّ ما في مقر العمل من مسؤوليّات.

وإلا فإننا إن كنّا نفهم من الحديث عن العمل التحرُّكَ وفقًا لمنطق الموظّف فيكون التراخي بعد أن نعمل سبع أو ثماني ساعات، والاهتمام بالمأكل والمشرب، والتجوّل كيفما يحلو لنا، وارتياد المقاهي -مأوى الكسالى وذوي الهمم الضعيفة- واللعب والمشاركة في مجموعة من الأنشطة البدنية والشيطانية فهذا يعني أننا نُسِيء فهم القضية، ومن يتحرّك بهذه العقلية يستحيل عليه أن يُنجِز ولو حتى عُشْرَ الأعمال الواجب القيام بها خدمةً للإنسانية في يومنا، بل إن الإنسان الذي يتبنّى فهمًا سقيمًا للعمل كهذا الفهم لن يتورّع عن الخروج في عطلةٍ خلال أكثر الأوقات حاجةً إليه، والاستئذان حين يجب القيام بأعمال وشؤون مهمّة جدًّا، وهكذا يُعرقل الأعمال الضرورية الواجبة الأداء.

أما مفهوم ساعات العمل بالنسبة لأهل الخدمة فليس على هذا المنوال؛ فهم يسعون قطعًا للوفاء بالمسؤولية التي تحمّلوها على عاتقهم في سبيل خدمة الحقّ، ولا يتركون عملًا بدؤوه دون أن يُتمُّوه، وإن حدث تقصيرٌ منهم في أثناء وفائهم بتلك المسؤولية في حقّ أزواجهم وأبنائهم وعائلاتهم سعوا لتلافيه وإصلاحه، وعملوا على ترضية وتطييب خاطر من يظنّون أنهم أخلّوا بحقّهم؛ فيقابلونهم بباقة زهرٍ مثلًا، ويبيّنون لهم سبب تأخّرهم، ثم يَفُونَ لهم بما قطعوه على أنفسهم من وعدٍ في أقرب فرصة، ويصلحون الأخطاء وأوجه الإهمال اللاإرادية.

obeikandi.com

وهنا يتوجّب على الأزواج التسامح فيما بينهم في مواجهة ما قد يحدث من تأخيرٍ بسبب عملٍ لا بدّ من إنجازه، ويجب ألا يُنسى أصلًا أن الساعات والدقائق بل وحتى الثواني التي تمرّ في فترة انتظارٍ كهذه هي في حكم العبادة بالنسبة للمنتظِرين؛ لأن انتظارًا على هذا النحو يُعدُّ تضحيةً حقيقيةً، وكل واحد من الزوجين في حاجةٍ إلى الآخر؛ فهناك قضايا وأمور معيّنة يجب عليه أن يتقاسمها ويتدارسَها مع رفيق حياته، وهكذا فإن ثواني يقضيها إنسان ينتظر رفيق حياته المناضل المجاهد في سبيل الخدمة، -وهو في حاجة إليه- قد تُقبل دون أن يشعر هو كعبادة سنوات طويلة؛ ذلك لأن "**نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ**"(٩٤)، وإن كان أحد الزوجين يسعى في الخير والآخرُ يدعمه معنويًّا وماديًّا نال كلاهما -بإذن الله تعالى- ثواب ذلك العمل الصالح.

(٩٤) انظر: الطبراني: **المعجم الكبير**، ١٨٥/٦-١٨٦.